تمهيد:

تدين اللسانيات العامة بشكل خاص والدراسات اللغوية الأوربية –عموما– بالتراث اللغوي الإغريقي واللاتيني –وما قبلهما– الذي استثمرته بشدّة وبمنهجية صارمة، في بناء هذا النوّع الجديد من المعرفة اللغوية المتميزة، ليكون بديلاً علميًا ثابتًا عن كلّ الاعتقادات السابقة التي أثقلت كاهل المحلل اللغوي ومنعته من بلوغ بعض المستويات التي بلغتها لاحقا، ويظهر ذلك إلى جانب الاعتماد على أصولها الاشتقاقية، وعباراتها العلمية الواصفة والارتكاز على الآراء السديدة والملاحظات الدقيقة التي سجلها علماء اللغة بمختلف الانتماءات المنهجية والتنوعات المدرسية وبخاصة عشية القرن التاسع عشر.

الأمر الذي جعل مؤرّخ الأفكار اللسانية الفرنسي (جورج مونان) يتوجّس حيرة عند محاولته في تحديد التاريخ الدقيق لظهور اللسانيات ومحاورها الكبرى،[1] وقد قام العبقري السويسري (ف. دي سوسير/F. Saussure) بتهذيب مسالك هذه التوجهات والآراء نحو صلب الظاهرة اللغوية،[2] بمنهج علمي أصيل ومغاير لكلّ ما سبق تطويره في تاريخ الدراسات اللغوية، وكان ".. أوّل من أظهر للناس أهمية الدراسة البنوية بوصفه وتحليله لمفاهيمها ومناهجها واحتجاجه المقنع بصحتها وعظيم فائدتها، فأخرج للباحثين بهذه التحليلات خير ما يمكن أن يرجع إليه في هذا النوع من الدراسات.."[3] ونظرًا لهذا التميّز الفريد فقد أصبح سوسير المؤسس الفعلي لهذا العلم بفضل محاضراته التي لم يعش ليشهد نشرها واشتهارها وإقبال العلماء عليها وأثرها على الفكر الإنساني، ".. وهي مقولة لا نكاد في هذه المرة نجد فيها شيئا من المبالغة، وتعلن هي بنفسها عن نوعية المنجز، وسيكون – بالبداهة– من الضروري أن نحدّد ونحصر وفي النهاية أن نؤكد هذه الصيغة في جوهرها، فوضعية المنجز الذي تصفه الصيغة وضعية نادرة في مجال العلوم الإنسانية ولسنا نعرف في حقيقة الأمر أي مثال آخر مماثل.."[4] وهو المذهب –نفسه– الذي ركب على مؤسس ورائد الجلوسيماتية –لويس هلمسلايف– عندما أقرّ بأنّ سوسير "..هو الرجل الوحيد الذي يستحق وصف مؤسس اللسانيات من دون منازع.."[5] أمّا من ناحية تأثيره على مجمل الدرس اللساني فقد علّق جورج مونان مؤكدًا –من ناحية– بأنّ تأثيره كان عميقًا جدًّا ولكنه –من ناحية أخرى–

---

1)- *Voire : George Mounin, Clefs pour la linguistique ''.. Solon le point de vue que se place, la linguistique est nJe vers le v^e silcle avant notre Ire, ou en 1816 avec Bopp, ou en 1916 avec Saussure ou en 1926 avec Troubetzkoy, ou en 1956 avec Chomsky&'' p19*

2)– عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في علوم اللسان**.ص *151* –بتصرف–

3)– المرجع السابق، ص *152*.

4)– ميشال أريفيه، **البحث عن فردينان دوسوسير**. تر: محمد محمود البقاعي، ط*1*، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان: *2009*م ص *34* بتصرف.

5)- *louis HJELMSLEO, ProlJgomInes A une thJorie du langage. Traduit du Danois par UNA Canger, &diction MINU. Paris 1971, p12*

لم ينهي مشكلات اللسانيات –وهذه الأخيرة– بدورها لم تقل الكلمة الأخيرة بعد يقول: "..لم يكن سوسير وحيدًا ومهما كانت أعماله جليلة، ومهما كان تأثيره عميقًا ومباشرًا في بعض النواحي ومتأخرًا في نواحي أخرى، فإنّنا نبسط التاريخ إذا نحن نصبنا له تمثالا رائعًا منعزلا عند مفترق طرق خاوية في عام 1916م.."[6] لذلك فإنّ قيمة الفكر السوسيري تظهر أكثر بمقابلته مع علماء عصره ومن بعدهم مع مختلف المدارس التي سايرته وطورت مفاهيمه، أو مع التي أقامت صرحا نقديًا له وعوّضته بنظريات أخرى.

إنّ هذا التأثير العميق لأفكار سوسير حول الظاهرة اللغوية وكيفيات تحليلها جعل منها موضوعًا علميًا ملهمًا بامتياز، وقد تبعه في هذا الطرح عدد كبير من العلماء والباحثين الذين تفاوتت مواقفهم واختلفت بين الموسعين والنقاد لبعض جوانب نظريته ومنهجيتها كما أسلفنا فضلا عن عدم معرفتنا بمآل اللسانيات لو لم يبرع البراغيون في فهم أفكاره وتقديمه للعالم الذي اكتشفه من خلالهم.

فالتفكير في آراء سوسير وملاحظاته دون التأمل والاعتراف بجميل تروباتسكوي (N. *trobetzkoy*) وماتيسيوس (*F.Mathsyos*) وياكبسون (*R.Jackopson*)، كالتفكير في اللسانيات دون سوسير، ولم يتخلف عنهم الوظيفيون كأندري مارتنيه (*A.Martinet*) وأتباعه، ثم تتوضح أكثر حدوس المنهج السوسيري مع الدانمركي لويس يلمسلايف (*louis Hjelmslev*) وزملائه وتلاميذه ... والعديد غيرهم. كلّ هذه الجهود الجبّارة في احتواء السوسيرية أدّي بهم إلى إقامة مدارس لسانية متعدّدة في مشارق الأرض ومغاربه لتجتمع كلها – وفي زمن قصير– فتمهد للمدرسة التوليدية التحويلية التي يعدّها الباحثون اليوم من أعظم المدارس اللسانية على الإطلاق التي شهدت تحوّلا كوبرنيكيا في علم اللغة،[7] ومن أكثرها انتشارًا وتأثيرًا في العالم، ففي مدّة لا تتجاوز نصف القرن من تاريخ نشر (محاضرات سوسير/*cours de linguistique générale*) قد أُنتج ما لا طائل إلى حصره من النظريات والاتجاهات والمعارف التي تدين كلها السوسير العالم والمدرسة.

أوّلا)- المدارس البنوية الأوربية الأكثر هيمنة على مجمل الدرس اللغوي: لم يكن الأوروبيون سباقين إلى بناء النظريات والمناهج اللسانية من محض الصدفة أو تمثلاً للنهضة التي عكفوا على الاحتفاظ بها منذ القرن الخامس عشر، بل يعود ذلك إلى سببين هامين، **الأوّل** أنّهم قد خبروا مختلف المناهج والعلوم اللغوية منذ القرن السابع عشر من اللسانيات المقارنة مع السير ويليام جمس والفيلولوجيا مع أجيست شلايشر ويوهان شميدت والإخوة شليجل..الخ والصوتيات مع بدوان دي كورتيناي وهبولدت. والثاني أنّ أعظم الأفكار اللسانية في هذه المرحلة قد

---

[6]- جورج مونان، **تاريخ علم اللغة؛ منذ نشأته حتى القرن العشرين**. ص*224* بتصرّف

[7]- بريجته بارتشت، **مناهج علم اللغة؛ من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي**. تر: سعيد حسن بحيري. ص*263*

ولدت في أوروبا –هذه الأخيرة– التي شهدت في فرنسا وألمانيا وروسيا حركة نشطة في مجال البحوث اللسانية والإنسانية بدءًا من نهاية القرن السادس عشر وقد أدّت هذه التجربة المديدة إلى طبع اللسانيات البنوية الأوربية بعد سوسير–خصوصا– بالطابع التحليلي وميلا عظيما إلى التحليل النظري للغات البشرية ووصفها، عكس ما سنجده عند الأمريكيين بدءًا من **ولبام واينْي وإدوارد سابير وبلومفيلد** .. وغيرهم، نظرًا لاختلاف الظروف والغايات من هذا العلم المحقّق.

أ) – مدرسة جنيف؛ وعودة سوسير: لقد بدأت تأمّلات سوسير الدقيقة في اللغة وفي فحص المناهج التي تدرسها في وقت كانت فيه النزعة التاريخية تمثّل ذروة العلم وأكثر من طريقة للتحليل فقد كانت عقيدة علمية راسخة وغير قابلة عند علماء كثيرين للمناقشة وإعادة النظر وقد وصل الحال بأصحاب هذا التفكير –من الغلاة– من رفع شعار مفاده **(لا علم إلاّ في المنهج التاريخي)**[8] وقد كان في خضم هذه الاعتقادات من الصعوبة تجاوز النمط الفكري المعطى سلفا، ومع هذا نجد رجلين على غير العادة، هما: **(همبولدت وواينْي)** يحاولان بعزم وإصرار التنبيه إلى أنّ هذه النظرة للغة وإنْ كانت صحيحة في كثير من جوانبها إلاّ أنها محدودة ولا يمكن لأي مشتغل بها الاكتفاء بما توفره، وافتقارهم إلى أدوات المقارنة الموضوعية بل والتوقف عند مرحلة بعينها لتفسير وضعية الأحداث اللغوية تفسيرًا منطقيًا.

وقد علّق عبد الرحمن الحاج صالح على هذه المرحلة بقوله: "..ثم إنّهم شعروا أن التتبع التاريخي –وإن كان ضروريا وأساس المنهج العلمي عند أكثرهم– فإنّه لا يغني الباحث إلى ما يحتاج إليه في عملية المقارنة وتصفح مراحل التطور نفسها وهو نظرية عامة في اللغة ذاتها تتّضح بها مفاهيمها وتتحدّد عناصرها وآلياتها؛ إذ دون نظرية مثل هذه يضطر الباحث إلى أن يرجع إلى تحديدات الفلاسفة والنحاة التقليديين.."[9] فبالرغم من عدم إقبال الناس حينذاك على تفتح **همبولدت وواينْي** اللذين عدّهما أهل زمانهم شُذّذ، فقد أدّى كلّ ذلك إلى تجميد فكرهما وتأخير ميلاد اللسانيات مرة أخرى، وبشكل متسلسل منذ فجر التاريخ؛ انطلاقا من فكر **بانيني** الهندي إلى أعمال الأغارقة وبخاصة الفلاسفة المتصوفة والرواقية، مرورًا بأشهر الأعمال الرومانية واللاتينية في القرون الوسطى التي منعها مبدأ ربط اللغة بالفكر من اقتراح فرضيات تهدف إلى تحليل اللغة في ذاتها.

---

[8]- عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في علوم اللسان**. ص *145*

[9]– المرجع السابق، ص ن.

ومع ذلك فقد استطاع سوسير إقناع كلّ طلبته تقريبا –أو أغلبهم على الأقل– بضرورة تدعيم اللسانيات التاريخية بمنهج آني سكوني داخلي يحلل كلّ مرحلة من مراحل سيرورة الأحداث اللغوية على حدة، ويميّزها عن التتابع التاريخي التطوري لها.

إذًا في هذه المرحلة ولدت اللسانيات على يد سوسير وطلبته الذين فهموه،* أو كتبت لها ولادة جديدة، وبدأ الابتعاد شيئا فشيئا عن التاريخية الحركية الصفوية، وتغيرت فيها جلّ المفاهيم وانتقلت فيها الاهتمامات من العموميات إلى الخصوصيات الدقيقة، وممّا هو زمني إلى ما هو وصفي ولكنه لم يتمّ ذلك بشكل قطعي أو فجائي، بل أصبحت اللسانيات العامة فرعًا أساسا من فروع اللسانيات التاريخية التي لم تنضج تمام النضج، وفي إطار هذه التحوّلات العميقة والسريعة يقول جورج مونان: "..وعلى هذا النحو يمكننا القول من جهة إنّ تيار النحويين الشباب لم ينضب تماما ومن جهة ثانية لا يسعنا أن نصف بكلمة واحدة علم اللغة بعد عام 1900م، وأن نقول: وأخيرا جاء سوسير..."[10]، ومن وجهة نظر أخرى فقد شهدت هذه المرحلة ظهور نظريات جديدة متعلقة بالتحليل النفسي والاجتماعي للإنسان، وقد "..أثّرت سوسيولوجية دوركايم كثيرا في نظرية الواقعة اللغوية وتحدّدت هذه الواقعة اجتماعيًا إمّا بالنفوذ الخارجية التي تمارسه أو قد تمارسه على الأفراد، ويتحدّد وجود هذا النفوذ بدوره إمّا بوجود عقاب محدّد أو بالمماثلة التي تجابه به الواقعة كلّ مشروع فردي يميل إلى تقعيدها.."[11]

إذًا انتقلت نظرة اللسانيات للغة كونها جنسا حيًا مع (شمبرث وشلايشر وشليجل) أو إلى وقائع اجتماعية مع (إميل دوركايم)، أو إلى وقائع نفسية مع (س. فرويد) وبينهم سوسير الذي (شيأة/ *matérialiser*) وجعلها بهذا المفهوم مادة قابلة للدراسة العلمية –كما سنرى لاحقا– أو على الأقلّ هذا ما أراده الناشرون لنا أن نفهمه من فكره!

---

*)– وأقصد بذلك (أنطوان ميي)، طالب سوسير وزميله فيما بعد، والذي نظر إلى نفسه وحاول إقناع المجتمع الأكاديمي بأنّه الوريث الشرعي لفكر أستاذه، وقد سعى إلى التشهير به وتطوير آرائه دون أن ينتبه إلى مخالفاته التي كانت نتيجة مباشرة لعدم فهم أفكار شيخه فهمًا جيدًا، وبخاصة عدم تفريقه بين (البنية والتاريخ)، ومن جهة أخرى عدم التفريق في اللسان بين كونه (صورة) أو شكل وكونه (ظاهرة اجتماعية)، الأمر الذي ميزه سوسير بدقة عند فصله بين الظواهر الداخلية والخارجية للسان وارتكاز اللسانيات على الداخلية منها، يقول كالفي: "..إنّ موضوع اللسان بوصفه ظاهرة اجتماعية (خارجية) المركزية (الداخلية) عند أنطوان ميي هو موضوع لا سوسيري (*Anti saussurien*) أساسا، على نحو غير واع بطبيعة الحال قبل صدور الدروس وعلى نحو واع بعد ذلك.." ينظر: جان لويس كالفي، **علم الاجتماع اللغوي**. تر: محمد يحياتن، دط، دار القصبة للنشر الجزائر: ***2006***م، ص***14*** بتصرف وما بين قوسين ومعقوفين من زيادة الباحث قصد التوضيح فقط.

10)– جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته إلى القرن العشرين**. تر: بدر الدين القاسم، ص ***225***

11)– ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية**. تر: محمد الراضي، ص ***106*** هامش رقم (***02***)

وهذه المنهجية الجديدة التي اعتمدها سوسير قد أظهرت نوعا متميزًا من البناء النظري، وأكثر ما يلفت الانتباه فيها هو اعتمادها على طريقة الثنائيات (*Dichotomie*) في إثبات وتحليل وتصنيف الأحداث اللغوية، وهذا الإجراء الذي انتهجه سوسير قد سبق وأن أثبت فعاليته في البحوث الفلسفية التقليدية التي سبقته إلى ذلك".. وممكن جدًّا أن يكون هذا الرجل (**سوسير**) قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأنّ ثمة وجهين مختلفين لكلّ شيء في الكون؛ كلاهما يكمل الآخر.."[12] ومن هنا تم معالجة اللغة ضمن خطين متوازيين تصدرها ثنائية اللسان والكلام واللسانيات الآنية والتاريخية، والعلامة اللغوية واعتباطيتها، وثبوت العلامة وتحولها، والعلاقات التركيبية والاستبدالية، والشكل والمادة ..وغيرها من الثنائيات التي أقرها سوسير وجعلها أساسًا في نظريته.

أ) – مدرسة جنيف وسوسير: تأسّست مدرسة جنيف على يد مجموعة من طلبته في العاصمة السويسرية "جنيف" مباشرة بعد نشر كتاب شيخهم سنة (*1916*م)، وفضلاً عن اشتهار شارل بالي (*1865/1947*م) وألبرت سيشهاي، تظهر أسماءٌ أخرى كان لها الفضل المباشر –بالرغم من قلّة تداولها– في ترسيخ السوسيرية منهجًا ودرسًا وشرحًا وتفسيرا، وهم كلّ من هنري فراي (1899/1980م)، وفارتر واتربورغ (W. Weterbourg)، ويكمن "..القاسم المشترك بين اللسانيين المنتمين إلى هذه المدرسة في رغبتهم الدائمة في توضيح دروس سوسير وإفهامها علة نحو واضح، وهي الدروس التي كانوا يدافعون عنها باعتبارها مقبولة ولا تحتاج لأي نقاش.."[13] فقد شكلت لهم مرجعية علمية ثابتة وموثوق فيها لمواصلة دربه ويمكن لأي باحث –الآن– أن يميّز بيسر بين مرحلتين متتاليتين من مراحل مدرسة جنيف مثّلت الأولى منها معرضًا لأفكاره الخام ومناقشتها مناقشة علمية وتعليمية، في حين عرفت المرحلة الثانية نوعًا من تعميق أطروحاته وتمديدها لتشمل جوانب محايثة لما أقرّ به ف. دي سوسير.

أ/أ) – الإرث السوسيري في فكر شارل بالي: عادة ما ينظر الباحثون المعاصرون إلى فكر هذا –العالم الجليل– نظرة تجرّده من كلّ مظاهر الأصالة والإبداع وتقليص دوره في هيئة رجل اكتفى بالجمع ونشر أقوال سوسير دون أن يكون له –في ذلك– أي رأي يرشحه ليكون قامة علمية شامخة شأنه شأن الأسماء التي نجدها عادة جاهزة ومعروفة، ولكن الأمر مختلف تماما عن ذلك، وهذا لسببين:

أ)- السبب الأوّل: هو الانتباه إلى جدّة وأصالة ما كان يعرضه سوسير في الفترة الممتدة من (1907 إلى 1911م)، وهذا يعني أنّه كان على اطلاع دقيق بالدراسات اللغوية في ذلك الوقت إلى درجة إدراكه بالفرق بينها

---

12)– أحمد مومن، **اللسانيات: النشأة والتطور**. ص*121* بتصرف

13)– مصطفى غلفان ، **نقلا عن موريس لوري، اللسانيات البنوية: منهجيات واتجاهات**، ط*1*، دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي ليبيا، *2013*م، ص *188*

وبين ما يعرضه سوسير، وهذا –وفي نظرنا– ليس بالأمر اليسير والسهل فقد قام رفقة سيشهاي بجمع[14] ".. مستندات الطلبة فنشراها بعد أن حرراها تحريرا أمينا.." وهذا العمل –في حدّ ذاته– الذي اضطلعا به قام أساسا على مقارنة النصوص فيما بينها ومراجعة ما كتب مع استحضار المحاضرات، على امتداد سنوات عديدة من 1907 إلى 1911م عمل جبّار لا يعدّ متاحا للجميع، ثم إنّ النقود التي تخلّلت عملهم لم تكن بالنقود الهدامة التي نسفت أعمالهم وإنما حاولت سدّ بعض الثغرات وفي ذلك دلالة على الوعي التام بأهمية ما نقلوا وشعورهم بذلك.

ب)- السبب الثاني: وبالعودة إلى مؤلّفات ومنشورات شارل بالي فإنّنا نجد بأنّه قد نشر في وقت مبكر جدًّا كتابًا بعنوان (**برنامج اللسانيات النظرية ومنهجيتها؛ علم نفس اللغة**) وكان له ذلك عام (1908م)، وفي العام الذي يليه نشر كتابا آخرًا بعنوان (**محاولة في الأسلوبيات الفرنسية**) (1909م)،[15] وبالرغم من عدم معرفتنا بعرضها على شيخه سوسير واطلاع هذا الأخير عليها* إلاّ أنّها أعمال متميزة لم يُلتفت إليها في حينها، ولكنّها عادت إلى الحياة بدءًا من النصف الثاني من القرن الماضي، حين بدأ الاهتمام بنظرية التلفظ التي سبق إليها بالي كلّ من (**إميل بنفنيست**) و(**أنطوان كيلبولي**) كما أصبحت للأسلوبية التعبيرية التي بدأها في وقت مبكر علما لصيقا به.

ومن جملة النتائج التي توصل إليها بالي من خلال كلّ أعماله في إطار التعريف بأفكار سوسير أو من خلال إبداعاته، هي:[16]

أ)- التأكيد على دور الطابع الوصفي في الدراسات اللغوية.

ب) – التأكيد على أهمية أنسقة اللسان في تحديد القيم وتصنيف العلاقات.

ج) – التأكيد على دور وأهمية الجوانب التعبيرية والانفعالية والعاطفية في الاستعمالات اللغوية عند المتكلم.

---

14)– خولة الطالب الإبراهيمي، **مبادئ اللسانيات**. ص*33*، الهامش (*03*)، وكذلك عبد الرحمن الحاج صالح، دراسات وبحوث في علوم اللسان، ص*151*– *152* الهامش رقم (*75*).

15)– هذا وينسب مصطفى غلفان كتابًا آخرًا نشر سنة *1913*م، بعنوان: "الآلية التعبيرية اللغوية" ***le mJcanisme de l&expressivitJ linguistique***" المنشور ضمن كتاب أوسع بعنوان " ***le langage et la vie***" وهو مجموعة من المقالات والدراسات التي نشرت في سنوات مختلفة، ينظر بهذا الصدد: مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات**. ص*189*، الهامش رقم (*5*)

)– تذكر المصادر التاريخية أنّ طلبة سوسير كانوا لشدة ثقتهم به وحبهم له كانوا يتهافتون عليه ببحوثهم وأعمالهم لكنّنا لم نجد من يثبت هذه الحقيقة مع بالي أو ينفيها.

16)– مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات**. ص *141* وما بعدها بتصرف.

د) – التأكيد على الدور الفعال لكلام الفرد وقدرة ذلك على تغيير نسق اللغة وتغيير أنظمتها بدءًا من المستوى الصوتي، ثم المعجمي والدلالي والتركيبي وأخيرا الأسلوبي.

هـ) – دور اللغة في المجتمع والفرد والعلاقات المتبادلة بين الجوانب النفسية والاجتماعية عند مستعمل اللغة.

ز) – إعادة بعث البحوث الخاصة بعلاقة اللغة بالفكر.

أمّا سيشهاي والذي لا يقلّ دوره أهمية عن بالي، فقد كانت له بدوره مجموعة من الإبداعات والأعمال الهامة التي دفعت –بحق– الدرس اللساني في إطار تطوير ومواصلة أفكار وأطروحات سوسير لتشمل نوعًا جديدًا من العروض تشكّلت أثناء مناقشة ونقد أفكار المنظر وعلى عكس أنطوان ميي الذي فهم سوسير من خلال منطلقاته وقناعاته الاجتماعية، كان بالي وسيشهاي يساوقون هذه الآراء مع المنازع النفسانية "..لأنّ التعبير عن الفكر ليس عملية اعتيادية بسيطة، ولكنه استعمال إيجابي للسان، وهو يعني أنّ فهم ما يُسمع يتطلّب التعرّف إلى عدد من العماليات النفسية المعقّدة القائمة على الحدس والتأويل والاختيار فاللسان –يقول سيشهاي– مجموعة من طرائق التعبير التي يلاحظها الدماغ ويؤولها ويسجلها.."[17] وهذا كلّه خطاب جديد لم يعرف أثناء إلقاء المحاضرات ولا بعده مباشرة، الأمر الذي جعلها سابقة لأوانها وأفكارًا مستقبلية غير مفهومة –على الأقل– عند طرحها وعرضها لأوّل مرة.

لقد كان من حظ اللسانيات ومن حظ المشتغلين بالبحوث اللغوية والإنسانية أن يحمل كلّ من **(بالي وسيشهاي)** على كاهلهما عناء جمع المحاضرات ونشرها وفق الأصول الأكاديمية المعروفة آنذاك، واعتمادهما على مقولاتها التأسيسية في بلورة هذا الفكر السديم في إطار تطعيمها بالجوانب الاجتماعية والنفسانية للغة، وقد كانا على وعي تامّ بدقّة هذه الآراء ووجاهتها وقدرتها التفسيرية الفريدة في إظهار الوقائع اللغوية ووصفها.

أمّا ما لم يكونا على دراية به في البداية –على أقلّ تقدير– أنّهم قد عرضوا أفكار شيخهم للنقد وجعلوها محط شك من لدن جميع العلماء تقريبًا ليخلصوا بذلك إلى اختبارها اختبارا صارمًا توّج بنجاح باهر في أغلب نواحيها، أمّا الجوانب التصحيحية على ذلك –والأمر خلافي وتفصيلي بين العلماء– فقد كانت تمهيدًا لانطلاق مدارس عديدة وانفجار البنوية واكتساحها مجمل الدرس الإنساني والاجتماعي –خصوصا– في النصف الثاني من القرن الماضي ويعدّ الإبستمولوجيون هذه الخاصية جوهرية في النظرية العلمية؛ إذ إنّ النظرية لا تكون كذلك إلاّ إذا استطاعت أن تستقطب علماء من اختصاصات عديدة، ومدى قدرتها على بناء نظريات أخرى،

---

[17]– ألبرت سيشهاي، محاولات في البنية المنطقية للجملة، ص***219***، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات. ص***210*** بتصرف

وبالتالي فإنّها تقاس بمدى قدرتها على فتح الموضوع على جوانب واسعة. ومن جهة أخرى أن تكون تمهيدًا لنظريات أخرى في المجال نفسه، وعلى هذا النحو فإنّنا نسجل ملاحظة دقيقة لجورج مونان؛ إذ يقول: ".. لم يكن سوسير وحيدًا ومهما كانت أعماله جليلة، ومهما كان تأثيره عميقا ومباشرا في بعض النواحي ومتأخرًا في نواحي أخرى، إنّنا نبسط التاريخ إذا نحن نصبنا له تمثالا رائعا منعزلا عند مفترق طرق خاوية في عام 1916م.."[18] فكما رأينا فإنّ سوسير قد تأثّر بعلماء سبقوه وأثّر هو بدوره على علماء لحقوه ومازال تأثيره مستمرًا حتى الآن، وهذا ما ضمن استمرارية اللسانيات العامة.

[18]– جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته إلى القرن العشرين**. تر: بدر الدين القاسم، ص ***224*** وقد مرّ استشهادنا بهذا القول في بداية هذا الفصل نظرًا لكونها شهادة تاريخية هامة على منجز سوسير.